شعرية المكان

بين نجيب محفوظ وفرجينيا وولف

"ميرامار" و"إلى الفنار" نموذجاً

إعداد

أمل عبد الكريم أحمد

كلية الآداب – قسم اللغة العربية

جامعة بني سويف

الملخص:

يدورهذا البحث حول تقنية المكان السـردي وتعدد الأصـوات بين نجيب محفوظ وفيرجينيا وولف، " ميرامار"، و" إلي الفنار" نموذجًا حيث يدورهذا الفصل حول المكان السـردي، والمكان في العمل الروائي له حضـوره وللإنسـان في المكان له حضـوره أيضـاً، واللغة قادرة علي تجسـيد هذا الحضـوروربطه معاً في نسـيج متشـابه مترابط، فالمكان يحدد الحالة النفسـية ويبرز معالجتها ويكشـف عن الرؤية الفكرية وتجلياتها الإبداعية، فالأماكن تتنوع داخل البنية السردية لنجيب محفوظ وفيرجينيا وولف " ميرامار" و" إلي الفنار".

وسـيتناول البحث المكان السـردي و أنواع الأماكن؛ الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة.

الكلمات المفتاحية:

المكان، السرد، الرؤية الفكرية، البنية

Abstract:

This research is about the narrative place technique and polyphony between the Egyptian writer" Nagib Mahfouz" and the English writer" Virginia Woolf" in their novels "Miramar", and "To the lighthouse". This chapter is about the narrative place, and the place in the narrative literary work has its presence like human. Language is able to reflect this presence and link it together into a similar and interconnected texture, the narrative place specifies the psychological state, highlights its treatment, and reveals the intellectual vision and its creative manifestation. Places vary within the narrative structure of "Nagib Mahfouz", and "Virginia Woolf" in their novels "Miramar", "To the lighthouse."

المقدمة:

يعد المكان آداة أساسية مهمة استخدمها كل من نجيب محفوظ وفيرجينيا وولف داخل البنية النصية لروايتهما " ميرامار" ، و" إلى الفنار"؛ ففي حين كان المكان عند فيرجينيا وولف جزءًا مهمًا من تقنيات كثيرة استعانت بها في سردها الحداثي، كان المكان عند نجيب محفوظ آداة أساسية استعان بها بشكل يكاد أن يكون كاملًا في بناء روايته، فمن خلاله تتشكل علاقة وطيدة بينه وبين الشخصيات.

وهناك فرق بين المكان Place، والفضاء Space؛ فالمكان مادي فيزيقي والفضاء نفسي سيكولوجي، فيلحظ أن المكان عند نجيب محفوظ يرسم الشخصيات ويشكلها؛ غرار فيرجينيا فالمكان عندها مرتبط بتار الوعي لا برسم الشخصية فالمكان لديها متذبذب وبدا مفهوم الزمكانية Chronotope أكثر في روايتها فهي تحلق في الخيال كثيرًا؛ فقد استطاعت أن تجعل من الزمان والمكان عاملًا واحدًا من العوامل التي استعانت بها في بناء المعنى داخل روايتها.

ويلحظ عند نجيب محفوظ داخل ميرامار وصف المكان وصفًا بارعًا كاملًا فالشخصيات تدور في فلك المكان داخل البنية النصية لـ" ميرامار".

وهناك فرق بين تجلي المكان الروائي في رواية ميرامار عنه في رواية تيار الوعي، إذ يكتسب المكان في الرواية الواقعية أهمية كبيرة داخل البناء السردي، وذلك عبر وصفه بشكل دقيق ومطول؛ أما في رواية تيار الوعي يقل الاهتمام بالمكان؛ لكونه رواية ذهنية تجري أحداثها داخل وعي الشخصية ذاتها الذي يمثل معادلًا موضوعيًا[1].

وتلحظ الدراسة من خلال البحث داخل النصين محل الدراسة أن الأماكن تتنوع داخل العالم السردي لكلا العملين، ويمكن للدراسة التمييز بين نوعين من الأماكن داخل بنيتهما النصية: الأماكن المغلقة، والأماكن المفتوحة.

أنواع الأماكن.

الأماكن المغلقة.

هي المكان الذي يتسم بالثبات والجمود، وعدم القدرة على الحركة، وتجلى هذا عبر

الروايتين محل الدراسة في البنسيون، ومنزل السيد رمزي الذي كان يقطنه هو وأصدقائه، فالبنسيون ومنزل السيد رمزي من أكثر الأماكن حضورًا عبر ميرامار وإلى الفنار داخل البنية النصية للروايتين، ويلحظ أن البنسيون يحظى بوصف طويل داخل ميرامار وتجلى ذلك في "

وتتجلى الأماكن المغلقة في الروايتين – محل الدراسة- في البيت (المنزل)، الحجرة، البنسيون، ويظهر هنا أن الأمكنة المغلقة وإن كانت تتسم بالحركة والدينامية تتعدد داخل المقاطع السردية في الروايتين محل الدراسة.

البنسيون داخل ميرامار

تجلى المكان المغلق داخل ميرامار في وصف البنسيون داخل الرواية عبر هذه الفقرة.

" العمارة الضخمة الشاهقة تطالعك كوجه قديم، يستقر في ذاكرتك فأنت تعرفه ولكنه ينظر إلى لاشيء في لا مبالاة فلا يعرفك. كلحت الجدران المقشرة من طول ما استكنت بها الرطوبة..."[2]

استخدم الراوي المكان المغلق تبعًا للحالة النفسية لشخصية عامر وجدي؛ حيث بدأ في وصف المكان الذي تركاه منذ فترة بعيدة بدأ في وصف المكان حسب رؤيته من حيث اختلافه في رسمه للمكان في الوقت الحالي عن ما مضى، وتمثل ذلك عبر ألفاظ الجدران المقشرة- كوجه قديم وهكذا.

منزل السيد رمزي داخل إلى الفنار

تجلى في رواية إلى الفنار عبر وصف منزل السيد رمزي

" ... والمنزل، غارقًا، منهارًا، قد التوى وترنح نحو الأسفل إلى أعماق الظلام. وفي الغرفة الخربة، أشعل المتنزهون غلاياتهم للشاي..."[3]

يتجلى هنا في وصف المكان المغلق للعمارة والمنزل سمات الشخصيات التي يتم تناولها داخل البنى النصية للروايتين؛ حيث تحيل الشخصيات هنا إلى الحالة النفسية المتداعية للشخصية؛ فالمكان عند نجيب محفوظ هنا يعين الراوي على رسم الشخصية من حيث الضعف والقوة فلفظة الجدران المقشرة، والأيام الخالية فالألفاظ هنا تدل على نفسية الراوي؛ وكذلك عند فيرجينيا وولف في ألفاظ مثل غارق ومنهار، سقط السقف وهكذا فكل حادثة تقع لابد أن تقع في مكان معين وزمان بذاته، ولذلك ترتبط

بظروف وعادات ومبادىء خاصة بالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما؛ حيث يمتلك المكان في رواية ميرامار (1967) لنجيب قيمة خاصة، بما يحمل من دلالات نفسية وفكرية وثقافية مختلفة، وبما لقى من عناية فنية متميزة.

فبنسيون ميرامار هو المكان الأول في الرواية، بل هو المركز ومن حوله تمتد الأماكن وتتسع لتشمل الإسكندرية ثم تمتد لتبلغ القاهرة، وفي بنسيون ميرامار تدور معظم حوادث الرواية وفيه تلتقي معظم شخصياتها.

أما فيرجينيا وولف جعلت من الزمان والمكان عاملًا واحدًا من العوامل التي استعانت بها في بناء الصورة؛ فالمكان الروائي كالعالم الواقعي مرتبط بل مندمج بالشخصيات كارتباطه واندماجه بالحدث أو بجريانه فهو ليس بالاطار الذي تقدم فيه الأحداث فحسب؛ بل هو خشبة المسرح الكلية، التي بمجرد أن تنفتح عنها الستارة[4].

وتجلى المكان المغلق في استخدام الكاتبين للحجرة داخل الروايتين – محل الدراسة- حيث بدت الحجرة في ميرامار داخل وصف حسني علام لها في قوله:

" حجرة مقبولة بنفسيجية الجدران. ها هو ذا البحر يترامى في زرقة صافية حتى الأفق. ونسائم الخريف تلاعب الستائر، وفي السماء قطعان مبعثرة من السحائب. "[5].

يرسم الراوي هنا المكان حسب الحالة النفسية فوصفه للمكان يدل على صفاء الحالة النفسية لحسني علام تبين ذلك عبر ألفاظ مثل بنفسجية الجدران، وزرقة صافية، وهكذا.

وتجلت في إلى الفنار في

" ... وأن تمتلىء كل حجرات المنزل بالحياة- حجرة الاستقبال؛ المطبخ خلف حجرة الاستقبال؛ غرف النوم فوق المطبخ؛ وغرف الأطفال وراء غرف النوم؛ لا بد من تأثيثها، لا بد من ملئها بالحياة." [6]؛ حيث يلحظ أن الحجرة هنا مكان للحياة؛ إذ يمثل ذلك المكان الراحة النفسية لمن يقطنه.

يلحظ هنا أن الغرفة الصغيرة الضيقة تحولت إلى فضاء Space واسع حسب الحالة النفسية داخل بنى الروايتين محل الدراسة، وهكذا يلعب المكان دورًا أشبه بدور البطولة في وصف الشخصيات وحالتها النفسية والمادية، ويتجلى ذلك من عنواني الروايتين؛ فالمكان بدوره آداة جوهرية داخل البنية النصية لكلا العملين وتبدى ذلك " من خلال علاقاته وتفاعلاته المتعددة مع العناصر الأخرى (الزمان- الشخصيات-

الحدث) دورًا أقرب إلى دور البطولة في تأكيد دلالات حدث الحكي الرئيسي [7]"؛ فجاء عنوان كلا الروايتين اسمًا لمكان؛ حيث يتجلى أن المكان جاء مليئًا بالدلالات العميقة التي تجسدت في لفظة توحي على المكان؛ حيث جاءت لفظة ميرامار الدالة على المكان وهو من أهم عناصر الرواية، إذ هو المحرك الرئيسي الذي تجرى فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات، وهو فضاء يحتوي على كل عناصر الرواية الأخرى، ويكون أحيانًا هو الهدف من العمل الروائي.

فميرامار بنسيون يقع في شقة بالدور الرابع في عمارة شاهقة ضخمة تقع في اللسان المغروس في البحر في مدينة الإسكندرية، وتديره امرأة يونانية (ماريانا) وهي في الخامسة والستين من عمرها.

فالبنسيون أكثر استقرارية من الفندق، عدد حجراته محدود، يقطنه عدد محدود من النزلاء ويديره شخص واحد أو بعض من الأشخاص والإقامة فيه ليست دائمة أو مؤقتة؛ فثمة شبكة من الدلالات نراها ماثلة في النص السردي تشتغل لتكون أشبه ما يكون بالفضاء اللغوي الذي يحتشد فيما بين أجزائه ليقدم لنا لونًا من ألوان الترابط وديمقراطية السرد.

ويلحظ أن نجيب محفوظ استخدم تقنية تيار الوعي في رواية تعدد الأصوات مركزًا على النواحي النفسية المضطربة وتتجلى قدرته أكثر ما تتجلى في استخدام الكلمات للتعبير عن الوضع النفسي بدقة وفعالية فعندما يجعل نجيب محفوظ من بنسيون ميرامار في روايته المسماه بهذا الاسم بطلًا حقيقيًا يلف حوله مختلف الفئات الاجتماعية. يسارعون فيما بينهم لإقرار وجهات نظر خاصة بهم.

ويلحظ أن المكان في تيار الوعي لا يستقر على حالة واحدة فهو متقلب متدفق وسريع الإيقاع يقترب من الفضاء أو أقرب إلى الفضاء منه إلى المكان؛ حيث يرتبط بحالة الشخصية الذهنية والنفسية مما يجعله حائرًا بين التذكر والواقع.

وتلحظ أهمية المكان في الروايتين محل الدراسة من خلال الكشف عن جماليات النص من شخصيات تقيم داخل البنية السردية وتمارس دورها في الحياة من خلالها.

ففي الروايتين محل الدراسة يختلف المكان من شخصية إلى أخرى، ومن راو إلى آخر. البنسيون، البحر، الإسكندرية والحجرة (الغرفة) من الأماكن التي تعني بها الشخصيات أو جرت أحداث الرواية فيها. فالبنسيون بالنسبة لزهرة هو المنقذ مما هي

فيه؛ فقد فرت من الريف لأنه المكان الذي يعتدي عليها وعلى حياتها وعلى شخصياتها، و أيضًا الأسرة بالنسبة إليها هكذا، ولكن سرعان ما تحول هذا المكان الجديد هو الآخر إلى وحش يعتدي عليها؛ فماريانا هي التي حمت زهرة من أهلها فقد تحولت من مكان يحمي زهرة إلى مكان يعتدى عليها فيه حتى إن ماريانا قررت طردها من البنسيون، وتختلف صورة المكان بين راو وآخر في ميرامار، فميرامار هو المكان المركز الذي يضم هذه الشخصيات المتنافرة، ولكنه لا يجمع بينها.

جاءت كل هذه الشخصيات إلى البنسيون وكل منها يحمل ماضيه وحاضره ومستقبله ويحاول أن يخفي ماضيه عن سواه؛ فلما قام الشجار بين سرحان وصفية بركات ادعى سرحان لماريانا بأنها كانت خطيبته ثم فسخ الخطبة ثم ادعى لزهرة بأنه هجر صفية من أجلها[8].

ومما سبق يلحظ أن هناك وحدة عضوية بين الإنسان والمكان عبر الأماكن المغلقة والمفتوحة سواء أكان المكان مفتوحًا مثل البحر أو مغلقًا مثل الحجرة أو الفندق لأنها تذكر (حسني علام) ببيوت آل علام بطنطا. إذ كانت الحجرة التي نزل بها في البنسيون بقبوله لأنها كانت قريبة من زهرة لتكون إحدى خليلاته.

فـ ميرامار مكان أقرب إلى محطة السكة الحديد حيث يتقابل لأيام أو أكثر، إذ هو مكان عام وسيط بين الشارع والداروهذا يطبع العلاقات بين الشخصيات بطابع خاص فالسلوك في الشارع يختلف عنه في البيت، فالفرد في الشارع يسلك سلوكًا متحفظًا تحكمه قواعد التفاعل الاجتماعي المحسوبة[9]، والشخصيات في ميرامار تخضع لقواعد السلوك الاجتماعي التي تفرض وضع حواجز بين الداخل والخارج في الحركة وطريقة الآداء الكلامي وهكذا.

تجلت دلالة الأماكن المغلقة عند نجيب محفوظ وفرجينيا وولف عبر الروايتين محل الدراسة في جعله مكانًا للراحة والطمأنينة؛ حيث يمثل المكان المغلق مكانًا للسكينة والهدوء، وهنا يلحظ أن البيت كما قال جاستون باشلار عنه أنه " جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول"[10]

ويبدأ النص المحفوظي بتصوير المكان وتفاصيله؛ بينما نص وولف تجلي وصف المنزل عبر ثنايا سطور الرواية.

الأماكن المفتوحة:

وتتراءى للقارىء أنها تتجلى في البحر والشاطىء و الحديقة والحقول والفنار والإسكندرية والكويت.

البحر

يمثل البحر أداة من أدوات الرواية؛ إذ هو فضاء يساعد الشخصيات في رسم الأحداث وتصويرها، وتمثل في رواية ميرامار في

" وجه البحر أسود محتقن بزرقة. يتميز غيظًا. يكظم غيظه. تتلاطم أمواجه في اختناق. يغلي بغضب أبدي لا متنفس له "[11]

وفي رواية إلى الفنار في

" وهي تنظر إلى البحر الذي تبين فيه بالكاد لطخة ما، وكان شديد النعومة لدرجة أن الأشرعة والسحب بدت مغموسة في زرقته "[12].

يشكل البحر في كلا الروايتين مصدرًا للهدوء والراحة النفسية ففي ميرامار يدل على الراحة النفسية لحسني علام، على عكس منصور باهي الذي تعد نظرته للبحر مصدرًا للحزن والاضطراب الداخلي، والقلق من الحياة، وتتشابه هذه النظرة داخل رواية إلى الفنار فهو مصدر للهدوء والسكينة والاطمئنان الداخلي.

البحر هنا معادلًا نفسيًا للشخصيتين فحسني علام يحكي ما فعلته الثورة تجاهه كما أنه يشير إلى ما فعلته الثورة بداخله من اضطراب نفسي عبر ألفاظه أسود محتقن بزرقة- تتلاطم أمواجه في اختناق، وهكذا، يتشابه هنا الوصفان من حيث تعبيرهما عن حالات الشخصيات النفسية التي تعاني منها الشخصيات.

" الإسكندرية

" يعجبني جو الإسكندرية.. لا في صفائه وإشعاعاته الذهبية الدافئة.. ولكن في غضباته الموسمية.. عندما تتراكم السحب وتنعقد جبال الغيوم..." [13].

يتجلى عبر هذا المقطع معادلًا موضوعيًا للإسكندرية وجوها الصافي، وبالرغم من جوها الصافي دائمًا فقد يكون مصدر انزعاج له بسبب ما يسفره الجو من تقلبات تعمل على تقييد الشخص من الحركة من مكان لآخر.

الخاتمة:

وبناء على ما سبق؛ يمكن استخلاص الأماكن التالية:

- هيمنة ذكر المكان داخل البنية السردية لكلا العملين محل الدراسة؛ وقلة وروده داخل المشاهد الحوارية.
- قلة الأماكن الموصوفة؛ وسيطرة ذكر الأماكن غير الموصوفة، وذلك نظرًا لأن بنية النص الروائي؛ فتهتم بالداخل أكثر من الخارج.
- ندرة وصف الأماكن، بالإضافة إلى قصر المساحة النصية لهذا الوصف، فنادرًا ما تلحظ الدراسة الوصف الطويل والمتوسط داخل المقاطع.
- لعب المكان داخل العملين دورًا مهمًا في إبراز دلالة الرواية بأكملها، من خلال مجموعة من الثنائيات الضدية.

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1- نجيب محفوظ: ميرامار، دار الشروق، الطبعة الثامنة، 2018.

- 2- فرجينيا وولف: إلى الفنار: ترجمة وتقديم: إيزابيل كمال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2015

Virginia Woolf: TO THE LIGHTHOUSE,YORK CLASSICS, Place Riad Solh, 2007 Beirut, Printed in Lebanon, New Impression.

ثانيًا المراجع:

1. حميد لحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1991.
2. خضر محجز: تقنيات السرد الروائي محتوى الشكل و أنماط الراوي في ثلاثية عبدالرحمن منيف (أرض السواد)، عطية للنشر والتوزيع، غزة، الطبعة الأولى، 2014.
3. عادل عوض: تعدد الأصوات في الروايات المحفوظية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009
4. عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر الغربي، القاهرة، الطبعة التاسعة، 2004

5. محمد السيد إسماعيل: بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009

المجلات

6. أحمد زياد محبك: وحدة المكان في روايات نجيب محفوظ: ميرامار نموذجًا، المجلة الثقافية، الأردن، العدد الواحد والستون، 2004

7. -أبو الحسن أمين المقدسي: دراسة موقع الراوي وآلياته في رواية ميرامار لنجيب محفوظ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، مجلة فصلية محكمة، العدد السابع عشر، ربيع 2014،1393.

المراجع المترجمة

8. غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984.

الهوامش:

[1]- حميد لحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، صـ 76.

[2]- ميرامار، دار الشروق، الطبعة الثامنة، 2018 صـ 7.

[3]- فرجينيا وولف: إلى الفنار: ترجمة وتقديم: إيز ابيل كمال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، صـ 227.

Virginia Woolf: TO THE LIGHTHOUSE,YORK CLASSICS, Place Riad Solh, Beirut, Printed in Lebanon, New Impression, 2007, P. 123.

لمزيد من التفاصيل انظر:

- عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر الغربي، القاهرة، الطبعة التاسعة، 2004 م، صـ 108.

- أحمد زياد محبك: وحدة المكان في روايات نجيب محفوظ: ميرامار نموذجًا، المجلة الثقافية، الأردن، العدد الواحد والستون، 2004، صـ 160.

- خضر محجز: تقنيات السرد الروائي محتوى الشكل و أنماط الراوي في ثلاثية عبدالرحمن منيف (أرض السواد)، عطية للنشر والتوزيع، غزة، الطبعة الأولى، 2014، صـ 204.

[5]- ميرامار: صـ 76.

[6]- إلى الفنار: صـ 82.

Virginia Woolf : TO THE LIGHTHOUSE, 32.

[7]- محمد السيد إسماعيل: بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009، صصص 34، 44، 45.

[8]- أبو الحسن أمين المقدسي: دراسة موقع الراوي وآلياته في رواية ميرامار لنجيب محفوظ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، مجلة فصلية محكمة، العدد السابع عشر، ربيع 1393، 2014. صـ 46.

[9]- عادل عوض: تعدد الأصوات في الروايات المحفوظية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، صصـ 211، 212.

[10]- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984، صـ 38.

[11]- ميرامار، صـ 73.

[12]- إلى الفنار، صـ 300

Virginia Woolf : TO THE LIGHTHOUSE, P 169.

[13]- ميرامار، صـ 152.